

وضع المصطلحات العلمية وتطور اللغة

الأستاذ أحمد شفيق الخطيب

رئيس دائرة المعاجم في مكتبة لبنان - بيروت

ويعقوب صروف ومحمد شرف وأمين الملسوف وأنستاس الكرمل ومصطفى الشهابي وسواهم قد تركوا لنا ثروة من مصطلحات العلوم أثبتت أن العربية اليوم قادرة على تأدية الرسالة العلمية والتقنية والحضارية بدقة وضبط كما أدتها من قبل أيام كان المشوقون إلى العلم من طلاب الأفرنج يتابعون العلم في الجامعات العربية متخفين بزبي الدراويش (1) .

والواقع أن العقد السابع من هذا القرن شهد من المعاجم اللغوية الأحادية اللغة منها والثنائية ، العامة منها والمتخصصة ما لم يشهده عقد في تاريخ العربية على مداه الطويل وأنه بالرغم من كل ما تشكو منه المجتمعات العربية من أزمات ومشاكل فإن اللغة العربية تشهد في هذا العصر ازدهارا مشجعا نأمل أن تنعكس آثاره على شتى نواحي النشاطات الفكرية والثقافية والتعليمية في مختلف أنحاء الوطن العربي.

إن مستقبل المصطلحات العلمية ومستقبلنا العلمي إلى حد بعيد مرتبطان بقضية تعريب التعليم لا في المدارس الثانوية فقط بل وفي الجامعات أيضا . وما دام أنه قد أصبح لدينا ما نبدا به فاليوم أفضل من غد . وأنه لغاية أملي أن يكون صدور هذا

لقد بدا العالم العربي يستعيد ثقته بلفته في مجال المصطلحات العلمية والتقنية والحضارية واجتازت اللغة العربية بنجاح فترة مخاض عسيرة كان لابد منها ، فقد شهدنا بارتياح نجاح حركات تعريب التعليم الثانوي في معظم البلاد العربية وها نحن نرتقب بالأمل الفاعل المحاولات الجديدة في كثير من هذه الأقطار لتعريب التعليم الجامعي دون أن يعني ذلك التقليل من أهمية اللغات الأجنبية .

وقد كان لجهود مجامع اللغة العربية في القاهرة وبغداد ودمشق ، وحينئذ المكتب الدائم لتبنيق الترجمة والتعريب للوطن العربي في الرباط (أكبر الأثر في استعادة هذه الثقة ، فالمجلات الدورية التي تصدر عن هذه الأكاديميات لا تكاد تخلو واحدة منها من أبحاث لغوية بناءة ومصطلحات جديدة في شتى فروع العلم والصناعة . وأذكر بهذه المناسبة أن مجمع اللغة العربية في القاهرة وحده قد أضاف إلى لغة العام عندنا في ربع القرن الماضي نيفا وعشرين ألف مصطلح في شتى فروع العلم والتكنولوجيا . كذلك فإن العديد من علمائنا الإعلام أمثال بطرس البستاني وأحمد فارس الشدياق و خليل سعادة

(1) راجع صفحة 22 من كتاب :

A Companion to School Mathematics - by F.C, Boon Longmans, London 1960.

المعجم احد العوامل الفاعلة في تحقيق هذا التحول الحضاري، فلا يعقل ان نخوض مجالات العلم الحديث وننعم بمنجزاته وتبقى لفتنا غريبة عن جو العلم وديناميكيته وابداعه وتدفعه . لقد آن ان تصبح اللغة العلمية العربية جزءا من حياتنا اليومية في المدرسة والبيت والمصنع وان تغدو مصطلحات العلم والحضارة باللغة العربية قسما حيويا من ثقافة الصانع والطالب والعلم والصحافي والاديب وصاحب الاختصاص الفني .

لقد مضى وقت كان يمكن ان تبقى صياغة المصطلحات العلمية والفنية في مسؤولية الجامع والمؤسسات اللغوية ، ففي كل يوم يغمرنا سيل من الالفاظ والاسماء لمستحدثات الحضارة ومكتشفات العلم في المختبرات والمعامل الكيماوية والفيزيائية والصناعية والفضائية وسواها حتى ان احد المختبرات في بلد متقدم يقدر ما يتدعه علماءه من الفاظ جديدة بما يتراوح بين الخمسة عشر والخمسين يوميا ، فلا يعقل والحالة هذه ان تنتظر هذه الالفاظ مواسم اجتماع اللجان المختصة ومناقشاتها وقراراتها، ولا بد من فتح المجال للابداع الفردي المنظم لم تابعة الركب العلمي ومواكبته وذلك بقيادة المؤسسات العلمية والجامع اللغوية ومراقبتها وتوجيهها. ومتى استطعنا الوصول الى المستوى الذي يراجع فيه الاستاذ او المحاضر دراسة علمية باللغة الاجنبية فيقدم لطلابه هذه الدراسة في اليوم التالي بلفة عربية سليمة تكون قد حققنا للفتنا الحبيبة مواكبة العلم لا مراقبته عن بعد فقط .

ان تاريخ وضع المصطلحات العلمية في عصر النهضة الحديثة يشهد بالدور الممتاز الذي اداه المترجمون والمعربون ادباء وصحافيين وواضعي معاجم . وان خير ما تفعله الجامع والمؤسسات اللغوية هو وضع الاسس والقوانين التي يستنار بها في صوغ المصطلحات او تعريبها والقيام بدراسات حول اصول الترجمة والتعريب وتشجيع القيام بمثل هذه الدراسات وتقييمها ونشرها . وساورني في هذا المجال شعور بأن القرارات الاربعين (2) التي اقراها مجمع اللغة العربية في القاهرة في ربيع القرن الماضي تعادل في اهميتها العشرين الف مصطلح التي اتحفنا

بها المجمع المذكور خلال المدة ذاتها (ان لم تفقها قيمة) .

ان اللغات التركية والفارسية والعبرية قطعت في ميدان العلوم العصرية اشواطا بعيدة فأصبحت تدرس بها شتى فروع العلم الحديث من طب وهندسة والكثرونيات وسواها كما نجحت في ان تكون لغة المؤتمرات العلمية (في الكيمياء والفيزياء والنويات) التي تعقد في الاقطار الناطقة بتلك اللغات . وقد تسنى لها ذلك بادخال آلف الكلمات العلمية والتقنية ذات الطابع العالمي ضمن مفرداتها - وهو امر سبقتها اليه العربية في عصر النهضة والانفتاح ايام كان مترجمو دار الحكمة يعربون من الفاظ اليونانية والسريانية والهندية والفارسية الشيء الكثير فيقبضون بدل ترجماتهم وزنها ذهابا ، ونحن اليوم لا نعتبر الفاظا مثل اسطورة واسطول واوقيانوس ونافورة وبند وهندسة وقلنسوة وسواها (وكلها معربة) الفاظا خارجة على الذوق العربي او حاطة بقدر اللغة - بينما تقيدنا في بداية عصر النهضة الحديثة بمحاولة ترجمة الالفاظ والاسماء والمصطلحات العلمية والحضارية بالفاظ عربية وذلك تحت تأثير القائلين بأن في لفتنا لكل شيء مقابلا ، « فهي المحيط الشامل كل منتجات الحضارة ما ظهر منها وما سبظهر ، فما على الباحثين الا الفوص في هذا المحيط لاستخراج درره »

لقد ادى مجمع اللغة العربية في القاهرة خدمة جلى للغة العربية حين حطم الاسطورة القائلة بأن ادخال المعرب من الالفاظ في متن اللغة يحط من قدرها : وفي المعاجم المتخصصة والعامية التي اصدرها المجمع المذكور دليل واضح على الدور المهم الذي يؤديه التعريب في لغة العلم الحديث (3) .

لقد كان التقيد بترجمة الالفاظ والاسماء بالفاظ عربية ذا نتائج سلبية من ناحية ايجابية من نواح اخرى فكانت النتيجة السلبية الرئيسية تحول التعليم العالي في معظم البلاد العربية (والتعليم الثانوي في بعضها) الى تدريس المواد العلمية والرياضية باللغات الاجنبية وهو امر مازلنا نعاني منه في كثير من البلاد

(2) راجع هذه القرارات في الصفحات (742 : ك - ن) من هذا المعجم .

(3) تجد في المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - المئات من هذه الالفاظ المعربة مثل فونوغراف وفرملة وقللاووظ وتلكوب واسمنت وايتل وانتييمون وبندول وزنك وميكرونون ومرل ومبركبركروم ... وسواها .

2 - كذلك يجدر بنا التساهل في امر التقاء الساكنين سواء اكان الامر مقتصرًا على ساكنين اثنين ام على عدة ساكن فنقول : مورس وبويل وشارل وباوند ورنجن وكنفستون وباينت .. الخ .

3 - اضافة الحروف الثلاثة ب ، ف ، ج لتؤدى لفظ الحروف اللاتينية V, P ، G (حين تلفظ كالجيم المصرية) فنقول : تلفزيون وقلط وبيسين ونابالم ونجستروم وجاليوم الخ ... وبذلك تصبح لفتنا قادرة على تأدية الالفاظ الأجنبية بصورة مقبولة فنسد الطريق على دعاة التحول الى الحرف اللاتيني او سواه من سبل تحديث اللفظة .

ان قضية الانتصار على مصطلح واحد لمسمى واحد هي قضية متفق عليها نظريا او قل مبدئيا . لكن الاتفاق على تحديد المصطلح هو امر لن يخلو من الاخذ والرد . وما دام باب الترجمة مفتوحا فمجال الاختلاف (ضمن حدود المتوقع طبعًا) وارد وليس لاي فرد او جماعة مهما كانت سلطنتهم اللغوية ان يشطبوا مصطلحا ليحلوا آخر مكانه نهائيا . فالمستقبل هو الحكم والاستعمال هو الفيصل وقد يثبت اكثر من مصطلح امام هذه الغزيلة لتي لا تتم في سنة او او اثنين بل تحتاج الى عشرات السنين وتتم عادة بصورة عفوية .

وحين تأني الترجمات عن مصادر مختلفة فالاختلاف امر طبيعي ، فالذي يترجم المصطلح عن الانجليزية لن تتفق ترجمته دائما مع الذي يترجم المصطلح عن اللغة الفرنسية حين لا يحوى المصطلح جذرا لاتينيا او يونانيا مشتركا . فمثلا المترجم عن الانكليزية يترجم power في المجال الميكانيكي ب « قدرة » و force ب « قوة » بينما الذي يترجم عن الفرنسية معرض لترجمة الفكرتين ب « قوة » لورود كلمة force في التعابير الميكانيكية الدالة على القوة حينًا وعلى القدرة حينًا آخر . واحيانا يبدو المرادفان المترجمان للمصطلح الواحد وكان لا علاقة تربطهما وذلك لاختلاف اسم المصطلح في اللغات المترجم عنها ، فمثلا في ترجم المصطلح ب « مروحة غربية » وعن الفرنسية ترجم المصطلح ذاته ب « مخروط الانصباب » عن cône de déjection وفى تعريب nitrogen

العربية الاساسية وهو ان فهم المعلومات وهضمها لا يتحققان تربويا الا عن طريق اللغة القومية . لكن هذا التقيد كانت له فوائده ايضا فقد ركز الانظار على ضرورة الاهتمام بالمفردات اللغوية الضائعة التي اغفلها واضعو المعاجم الكلاسيكيون امثال الخليل وابن دريد والجوهري وابن منظور والفيروزبادي كما كانت له نتائج الخيرة في تاسيس الندوات والمجامع اللغوية التي قامت بمحاولات طيبة ومثمرة في مجال تطويع اللغة والاستفادة من مرونة ابواب القياس والاستتقاق فيها فاصبح لدينا من مصطلحات العلم والصناعة اليوم ثروة وتراث نستطيع ان نستند اليهما في جعل لفتنا القومية تواكب مكتشفات العلم وتجاري منجزات الحضارة الحديثة .

ان الفيض الهائل من كلمات العلم التي تندفق علينا كل يوم يجعل من عملية الترجمة المطلقة امرا غير عملي ، والقاعدة المنطقية في الترجمة والتعريب هي ان ما هو اصيل في اللغة المنقولة يترجم ، اما الالفاظ العالمية التسمية والمشتقة من اليونانية او اللاتينية (كتلفون وتلسكوب وميكروفون وميكروسكوب وتلفزيون) او الموضوعية تخليدا لذكرى عالم او مخترع امثل فلفظ واوم وكورى وامبير وواط) او المركبة من احرف متعارف عليها دوليا (مثل رادار ورادياك وليزر وميرز ونابالم) فتعرب كما هي (4)

ولكني تصبح لفتنا قادرة على تأدية المسميات العربية بشكل صحيح علينا ان نتساهل في لفة المصطلحات العلمية والتكنولوجية بالامور التالية :

1 - جواز الابتداء بالساكن وهو امر ليس بالغريب على اللهجات العربية قديما وحديثا . ان الابتداء بالساكن في كثير من الالفاظ العربية يحتمه ضبط تأدية المسميات كما يلفظها الناس في معظم انحاء العالم ، فنقول كلورات وكروم وجرافيت وترايود وبروتون وبراون وسمث وسبكتروسكوب، اما اضافة حرف الالف عند تعريب الالفاظ الافرنجية التي تبدأ بحرف ساكن او تحريك الحرف الساكن نفسه فيهما تحريف لا مسوغ له يبعد منطوق اللفظ عن صورته ويبيته الاصلية ، ف Brown مثلا هو براون لا ابراون ولا براون او براون او براون (بالكسر او الفتح او الضم)

(4) انظر البند 32 من موجز قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة (ص 739 : من هذا البحث) .

منها فنقول : « عصر » تارة و « حقبة » او « حقب » تارة اخرى

قيل « نتروجين » عن الانكليزية و « آزوت » عن azote الفرنسية .

ولا يريد ان اذهب بعيدا في هذا الموضوع فنقد خطر بيالي وانا اكتب هذه الفقرة ان اراجع بعض المصطلحات المعنية في معجمين متخصصين في الجغرافية والجيولوجية صدرا عن مجمع اللغة العربية في القاهرة (الذي هو دون ريب افعال مؤسسة عربية في مجالات ايجاد المصطلحات وتطويرها) فلاحظت اختلافا بينا في المرادف العربي للمصطلح الواحد ، وهذه بعض الامثلة من حرف A :

اضف الى ذلك ان موضوع المرادف الواحد لم يتحقق حتى في اللغة الواحدة من اللغات التي يؤلف فيها العلم حاليا ، فتجد الفيزيائي الاميركي يستعمل electron tube فنترجم عنه « انبوبة الكترونية » بينما يكتب الفيزيائي البريطاني electron valve فنترجم عنه « صمام الكتروني » . وقد يستعمل العلماء في البلد ذاته مصطلحين مختلفين استعمالا متبادلا في كلمتي epoch, period فتأتي ترجمتنا (عن مؤلفاتهم) لتلك المصطلحات غير محددة بواحدة

المصطلح الانكليزي	المرادف العربي في (معجم الجيولوجية)	المرادف العربي في (معجم الجغرافية)
ablation	نذرية	سحج
abrasion	بـري	سحج
abyssal rocks	صخور الأعماق	الصخور العميقة
aeolian deposits	رواسب ريفية	رواسب هوائية
agglomerate	رصيص بركاني	راهصة بركانية
alluvial plane	سهل طبيعي	سهل غريني
anticline	قبو . طيه محدبة	حدبة
anticlinorium	تحذب مركب	حدبة متفضنة
aquifer	متودع ماء ارضي	طبقة خازنة للماء

يلاحظ ان هناك شبه اقتناع بعدم امكانية الاختصار على مرادف واحد للمصطلح الاجنبي المعين في الوقت الراهن . ففي الوقت الذي يقر فيه مجمع اللغة العربية في القاهرة مبدئيا ان :

« الاصطلاحات العلمية والفنية والصناعية يجب ان يقتصر فيها على اسم خاص واحد لكل معنى » (6) .
نجده بعد بضع جلسات يقر مادة اخرى تنص على ان :

« تضاف كل لفظة سرت في البلاد العربية الى جانب ما وضعت اللجنة المجمعية (7) .

والاختلاف هنا هو من النوع المتوقع بل لعله هو الامر الطبيعي في المرحلة الراهنة ، فقد يكون المرادفان مكملين او مفسرين احدهما للآخر كما هي الحال عادة - ثم ان هذا النوع من الاختلاف لا يخرج المرادف عن نطاق مدلوله العلمي ، ولما تخلو منه اي لغة عصرية (5)

ولن يكون عسيرا على القارئ الواعي اعادة المرادفين العربيين الى المصطلح الاجنبي المترجم في اغلب الاحيان .

والذي يدقق النظر في اعمال مجامعنا العربية (ومجمع اللغة العربية في القاهرة بصورة خاصة)

(5) لاحظ مثلا استعمال

muffler, silencer, condenser, capacitor, instrument, tool, generator, dynamo, motor, engine.

حيث تستعمل هذه الالفاظ استعمالات متبادلة في معظم الاحيان .

(6) مجموعة القرارات العلمية - مجمع اللغة العربية - القاهرة 1963 ، ص 141 .

(7) المصدر اعلاه ص 158 .

والفرق واضح بين ما يجب وبين ما هو عملي في الوقت الحاضر .

ثم انه ليس من الحكمة في هذه المرحلة سبك المصطلح واعطاؤه هالة من القداسة تجعله في منأى عن النقد أو التحوير ، فلا بد ان يبقى باب الاجتهاد مفتوحا لمن يقترح اللفظ الأفضل خاصة فيما يتعلق بالمرادفات التي لم تكتسب حظا وافرا من الشيوخ أو المرادفات التي تشكو نقضا أو دقة أو ظلا يبعدها عن تأدية معنى المصطلح العلمي أو الفني المقصود ، وهذه ثلاثة أمثلة اخترتها اتفاقا من مجموعة المصطلحات العلمية التي اقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة :

مثلا في كلمة aneroidograph قيل « المسجل المعدني » (8) ولو قيل « بارومتر معدني ذو مرسة » أو « بارومتر لا سائلي مسجل » لكان أفضل لان « المسجل المعدني » يمكن أن يكون اسما لعشرات المعنى .

وفي « محطة الترميم » (9) coaling station « أقرب الى أداء المعنى .

وفي كلمة lag قيل « التأخر » (10) ولو قيل « التخلف » لكان أفضل لان الكلمة فيزيائيا تعني « التأخر مع بقاء بعض الشيء أو الأثر المتخلف » .

وكذلك فانه حين تساوى الكلمات من حيث ادائها للمعنى فان الذوق اللغوي للمترجمين يختلف، فحيث يستعمل احدهم « محشة » و « منجلة » و « منقاش » ، قد يفضل الآخر مرادفات أكثر شيوعا مثل « محراك » و « ملزمة » و « ملقط » . وان الاختلافات التي من هذا القبيل ليست فقط امرا طبيعيا لا بد منه بل انها امر قد يكون مرغوبا فيه . وما دما تقبل ان المستقبل هو الحكم وان الاستعمال هو الغالب فذلك سبيل معقول يتمشى والمبادئ العلمية والمنطقية . وحيدا لو تعمل الدائرة الثقافية في امانة الجامعة العربية بالاقتراح الذي قدمه احد خبراء اليونسكو في المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد عام 1955 بضرورة انشاء مكتب دائم للمصطلحات

العلمية والفنية والتكنولوجية يعمل على نشر هذه المصطلحات وتقدمها وتوحيدها .

ان قوانين الانتخاب الطبيعي والتطور وبقاء الاصح تجري على الالفاظ والمصطلحات جريانها على الكائنات الحية - فاللغة من حيث صلتها الوثيقة بأرقى طبقة في الكائنات الحية هي أيضا كائن يتمتع بخصائص الاحياء ينمو ويتطور ويتكيف وقد تذوي بعض اجزائه فينبت كثير غيرها . ولا بد للغة الحية من مداومة السقيا بمناسر الحيوية والتجدد ، لتساير تقدم الأمة وتماشي احتياجاتها الفكرية والعلمية والاجتماعية والصناعية . اما تخلف اللغة عن مسابرة الزمن وملاءمة متطلبات الحياة فممناء الجمود ، والجمود ليس من خصائص الاحياء .

ان قوانين الانتخاب الطبيعي تعمل في اللغة عن طريق الاستعمال والزمن وتطور الذوق اللغوي العام للأمة . فهناك الفاظ تبدو ضعيفة وتقوى مع الزمن واخرى تبدو قوية سليمة ولا تصمد امام الاختيار . ان بعض الالفاظ التي كانت مستهجنة عند ما كتب الدكتور محمد شرف مقدمته للطبعة الثانية من معجمه الطبي (1928) مثل هضمين وليغيسن واسيتون وكيروسين وتلفون وتلغراف هي كلمات مقبولة اليوم بينما زالت أو هي في طريق الزوال كلمات كانت رائجة حينئذ مثل المسرة والارزيز والسفير (للتلفون) والمائة (للهيدروجين) والضريم (للبنزين) والمحرا (للأكسجين مرة ولترموتر أخرى) والمرواز (للبارومتر) والجماز (للترام) والرقين (للدولار أو الريال) والمدره للمحامي ... الخ .

كذلك فان الكثير من المرادفات تعايشت اما مع مرادف عربي آخر مثل « مسح وفارة ومسحاج » ، و « راتب وماهية ومعاش » ، ومثلها « انتحاء وتآود » ، و « حدية وقبوة وطية محدبة » أو مع المصطلح المعرب كما في « الامونيا والنشادر » ، « والشرطي والبوليس » ، والهاتف والتلفون ، و « البرق والتلغراف » ، و « المحرك والموتور » ، و « الكهتراب والالكترون » . وهذا التعايش ليس غريبا على اللغة التي تصودت ان تجمع للمسمى الواحد عشرات الاسماء .

- (8) 107 ، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها المجمع - المجلد السادس - القاهرة 1964 .
(9) ص 94 ، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها المجمع - المجلد السادس القاهرة 1964 .
(10) ص 9 مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي اقرها المجمع - المجلد العاشر ، القاهرة 1968 .

ويحدث في حياة الألفاظ والمصطلحات أحيانا طفرات يتحول معها معنى اللفظة عن وجه استعمالها القديم الى استعمال آخر جديد فالسيارة اليوم غير السيارة (القافلة) بالأمس ، وهكذا الدبابة والمسدس والذرة والجرثومة والعنصر والهاتف والصاروخ والطائرة والمكتب والمحافظة والمصنع وآلاف الألفاظ الأخرى التي تحول معناها عن المعنى الذي كان مالوفا للباحظ أو لابن المقفع مثلا . وهذا التحول أسر عرفته العربية دائما فمع ظهور الإسلام تحولت مئات الألفاظ كالصلاة والزكاة والجهاد ... والإيمان والكفر ... والجنة والنار عن معانيها المألوفة الى معان جديدة كذلك استعمل النحويون الألفاظ عديدة كالرفع والجر والنصب والضم ... والإسناد وسواها على غير المؤلف من معانيها ، ومثل هذا حدث ويحدث دائما في مصطلحات العلم والفلسفة والأخلاق والفنون ، ولا غرابة في ذلك فنحن نشهد مثل هذا التحول في كل أحوالنا المعيشية والفكرية والاجتماعية والحضارية . وقد يحدث هذا التحول على مدى طويل كما كانت عليه الحال في الماضي ، أو قد يحدث في وقت قصير نسبيا كما هي الحال اليوم . لقد لاحظت مثلا ان المعجم الوسيط (الذي لم يمض على صدوره عن مجمع اللغة العربية في القاهرة عشر سنوات) يذكر مثلا من معاني كلمة « المنظار » (11) : « المرآة » و « الميكروسكوب » و « التلسكوب » ويمثل على معنى اللفظة بصورة منظار ميدان ، وهذا الأخير هو المسمى الوحيد من هذه السميات الأربعة الذي يقلب عليه لفظ « المنظار » اليوم . كذلك في معنى « المجبر » يذكر المعجم نفسه أن « المجهر » هو « المجهار » والمجهر من يجهر بكلامه عادة أو « جهاز تصدر عنه ذبذبات كهربائية » (وهو المعروف بالمكروفون) (12) . ويذكر المعجم في مكان آخر أن « المجهر » هو « الميكروسكوب » (13) لكن الاستعمال غربل هذه الألفاظ التي هي في أصلها مادة واحدة ، فميز « مجهر » لمعنى « ميكروسكوب » وخص « مجهار » بمعنى « ميكروفون » وصار استعمال « مجهار » لمن يجهر بصوته عادة استعمالا مجازيا فقط على سبيل التشبيه بالمكروفون .

تديما كان التطور في اللغة الفصحى ويبدأ لأن اللغة الفصحى كانت لغة الخاصة ، أما اليوم فقد ازداد

عدد المثقفين زيادة ضخمة حتى أن اللغة الفصحى أضحت الى حد لغة الجميع كتابة وقراءة وسماعا ، ففي كل عام تزداد دور العلم ويزداد عدد المتخرجين منها والوافدين إليها ويتوسع نطاق النشر ويتضاعف عدد القراء ، وفي كل يوم تزداد وسائل الاعلام قوة وانتشارا . وبوجود الترانزستور وكثرة دور الإذاعة تمتلئ أسماع الناس باللغة الفصحى (أو القريبة من الفصحى) حتى بدأنا نلاحظ أن لغة الرجل العادي اليوم أقرب الى اللغة الفصحى من لغة الرجل العادي بالأمس القريب ، كذلك صرنا لا نستغرب ان تنتشر اللفظة أو المصطلح على السنة الملايين في الوطن العربي بين عشية وضحاها ، فما ان يذاع مثلا ان « محطة فضائية » روسية أخذت لها مدارا حول المريخ أو ان جرما امريكيا فضائيا « هبط هبوطا هينا » على القمر حتى يجري مصطلحا « المحطة الفضائية » و « الهبوط الهين » على كل لسان في كل بيت وناد . وطبعاً لن تنتظر وكالات الأنباء ولا اصحاب الصحف ولا الناس العاديين في كل مكان ما تقرره الجامع اللغوية بشأن صلاحية هذه المصطلحات أو عدمها . وهذا يزيد من أهمية عمل المترجمين وواضعي المصطلحات من جهة ويضعهم أمام الاختبار الجماهيري الفوري وأمام مسؤوليتهم نحو مستقبل اللغة من جهة ثانية ...

ان مهمة القيام بترجمة (أو تعريب) المصطلحات العلمية والفنية ، بل ان مهمة الترجمة بشكل عام ، ليست من الأمور التي يمكن لأي كان ان يقوم بأدائها - ورحم الله أحمد فارس الشدياق اذ يقول :

ومن فاته التعريب لم يدر ما العنا
ولم يصل نار الحرب الا المحارب

الترجمة صناعة وفن ، واني اذ ادعو الى تجنيد المجهود الفردي في مجابهة ذلك الفيض المتدفق من مصطلحات العلم والصناعة والتكنولوجية فانما ادعو ضمنا الى اعداد جيل من الاختصاصيين في حقل الترجمة والتعريب وخاصة في حقل الترجمة العلمية الفنية .

ان السبب الأهم الذي أدى الى فشل عملية الترجمة العلمية في بداية القرن الحالي وخدم قضية

(11) ص 940 المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية - القاهرة 1961 .

(12) ص 143 ، المصدر السابق .

(13) ص 940 المصدر السابق .

أوجدت المهندسين على شتى اختصاصاتهم وأدى تطور الصناعة الى خلق جيل من الفنيين والصناعيين يسرنا ان نراهم في ازدياد مطرد ، لكن الامر الذي يلفت النظر هو اننا مع حاجتنا الماسة الى الاختصاصيين في الترجمة العلمية والفنية لم تتحرك جديسا على أي مستوى لمواجهة هذه الاحتياجات .

ان لبنان ملتقى الحضارات ، هو البلد المؤهل للقيام بحركة فاعلة في هذا السبيل ، وجامعات لبنان (خاصة الجامعة الأمريكية في بيروت وجامعة القديس يوسف) تتحمل مسؤولية كبيرة في هذا المضمار . واني لآتمنى على الجامعة الأمريكية في بيروت وهي السبابة في مجالات التربية والثقافة ان تضع برنامج دراسة لاعداد اختصاصيين في الترجمة (على غرار برنامج في ادارة الأعمال الذي انشأته في مطلع الخمسينات) يمنح الطلاب في نهايته درجة في الترجمة العلمية او الأدبية تبعا لاستعداد الطالب شرط ان تكون شروط الانتساب الى هذا الفرع شهادة البكالوريوس في الآداب او شهادة البكالوريوس في العلوم ، ويرتب للمنتسبين في هذا الفرع برنامج دراسي من سنتين يتلقون فيه دراسة مكثفة في اصول اللغتين - المنقول عنها والمنقول اليها - وآدابهما وقواعد القياس والاشتقاق فيهما ، ويطلعون على الترجمات الممتازة للروائع التي نقلت من احدهما الى الأخرى ويدرسون دراسة مقارنة المرادفات والمصطلحات التي وضعتها الجامعات العربية وأصحاب المعاجم ورواد الترجمة في عصر النهضة قديما وحديثا ، بالإضافة الى ما يراه المشرفون على هذا البرنامج من مستلزمات الكفاءة لهذا الاختصاص المتشعب النواحي .

ان خلق مثل هذا الجيل من الاختصاصيين في الترجمة الفنية والعلمية والأدبية سيجعل التحول نحو تعريب التعليم في شتى الحقول العلمية والصناعية أمرا عمليا سهلا وسيزود المؤسسات الصناعية والنفطية والمصالح الحكومية والخاصة ومحطات الإذاعة ودور النشر في شتى أنحاء الوطن العربي بخبراء في الترجمة يستطيعون ان يقدموا في حقول اختصاصهم مصطلحات عالية المستوى محددة المدلول وبذلك يساهمون بجعل اللغة القومية مرآة صادقة للمستوى الحضاري الذي بدأت نعيشه والذي نريد ان نواكبنا لفتنا فيه ، والله الموفق !

الأجنبي في القول بعدم صلاحية اللغة العربية لتأدية العلوم الحديثة والتحول بالتالي إلى تعليم الفواد العلمية والفنية والتكنولوجية باللغات الأجنبية هو انعدام مثل هذا الجيل من الاختصاصيين ، والمؤسف انه لم تتوفر لدينا حتى اليوم الكفايات المنشودة لحمل اعباء التحدي الضخم الذي تواجهه في هذا المضمار .

ان الفنيين عندنا من مهندسين وصناعيين وكذلك المختصين في فروع العلم الحديث على اختلافها واكثرهم ممن درسوا في بلاد الغرب او تلقوا العلم بلغة اجنبية في احد البلاد العربية ، مع احترامى البالغ لهم وتقديرى لبراعتهم في حقول اختصاصهم ، يكادون يجهلون قواعد اللغة القومية واصول الاشتقاق والقياس فيها ، حتى انك تكاد لا تميز الاختصاصي في علم من العلوم عن الرجل العادي اذا ما تكلمنا باللغة القومية . ان المهندس الانكليزي او الفرنسي او حتى الإيراني او التركي او الاسرائيلي اذا ما تكلم او كتب احدهم باللغة القومية استطاع ان يتكلم او يكتب في مستوى يتناسب مع اختصاصه وثقافته ومستواه العلمي ، وهذا للأسف ما لا نستطيع قوله عن الفني العربي الاختصاصي في احد فروع الصناعة أو التكنولوجيا، حتى ولا عن الغالبية العظمى من مهندسينا وصناعيينا وفيزيائيينا وسواهم من اصحاب المهن المتصلة بأمور العلم والصناعة . والمترجم اذا ضعفت عنده احدى اللغتين كثرت اساءته للترجمة وزادت الاساءة الى اللغة الضعيفة عنده - وهي في حالة الفنيين عندنا ، اللغة القومية - والنظام التعليمي عندنا هو المسؤول عن ذلك .

لقد خطت الترجمة الى اللغة القومية خطوات ناجحة على ايدي فئة المثقفين الذين مكنهم اختصاصهم وجهدهم الشخصي من الحصول على نصيب وافر من علوم اللغة والتطلع من اصولها وقواعدها ، أعني فئة الصحافيين والمحامين والأدباء وهؤلاء بطبيعة الحال لم يقبلوا على الترجمات العلمية بل وجهوا جل مجهودهم نحو الترجمات الأدبية والقصصية والاجتماعية فأبدع من بينهم الكثيرون ، اما الترجمة الفنية العلمية والتكنولوجية فقد ظلت قاصرة عن بلوغ المستوى المقبول فنيا ولغويا - فكان ذلك تكريسا غير مقصود لفكرة عدم صلاحية اللغة القومية لتأدية العلوم الحديثة والفنون والصناعة والتكنولوجية .

ان حاجتنا الى العناية الطبية المتطورة أوجدت الاطباء الاختصاصيين ، والحاجة الى الإنشاء والتصميم